

تأخير التوبة اغترار

ورد في الحديث الشريف (تأخير التوبة اغترار، وطول التسوية حيرة، والاعتلال على ا هلكة، والإصرار على الذنب أمنٌ لمكر ا [و] (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّاهِ إِلَّا الَّذِي هُوَ الْخَاسِرُونَ)).

أولاً: الحديث السابق رواه ابن شعبة الحراني في تحف العقول: 456 عن الإمام الجواد (عليه السلام)، كما رواه ميرزا النوري في مستدرک الوسائل 12: 124 عن الإمام الصادق (عليه السلام).

وهنا يوجد احتمالان:

الاحتمال الأول: أحدهما أخطأ في نسبة الحديث إلى المعصوم الذي قاله.

الاحتمال الثاني: تكرر الحديث عن أكثر من معصوم، ولا مانع من ذلك.

ثانياً: (تأخير التوبة اغترار):

لماذا يؤخر الإنسان التوبة؟ لأنه يغتبر بشبابه وصحته وقوته، فيرى الموت بعيداً عنه، ولا يؤمن بأهمية المبادرة إلى التوبة. (تأخير التوبة) حالة من الغرور يعيشها الإنسان الذي يعتقد بطول الأمل والعمر.

إلا أن العاقل يدرك بأن الموت لا يفرق بين الكبير والصغير، ولا بين السليم والمريض، فكم من شباب

سليم، مات قبل شيخ كبير مريض؟ وكم من طفل صغير مات قبل أبيه وجده؟!!

ثالثًا: (وطول التسوية حيرة):

الإنسان في بعض الأحيان والأمور يحتاج إلى تربيته حتى يتبين له الحق من الباطل، والصواب من الخطأ. فإذا اتضح له ذلك واجتمعت الشروط، فعليه أن يبادر إلى ذلك ويسارع (وَسَارِعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ) فإذا اتضح له ذلك واجتمعت الشروط، فعليه أن يبادر إلى ذلك ويسارع (وَسَارِعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ)، (فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ).

أما طول التسوية والتأخير، وتكرر التسوية إلى الغد، وإلى الأسبوع القادم، وإلى الشهر القادم، وهكذا، فهو يوقع الإنسان في تردد بعد أن كان جازمًا بالأمر.

مثال: إذا عازمت على تقديم دعم مالي للجمعية الخيرية، فبادر إلى ذلك، ولا تسوّف إلى الغد، والأسبوع القادم، لأنّ التسوية يوصلك بعد فترة من الزمن إلى التردد والحيرة (هل فعلاً أَدْعِمُ الجمعية الخيرية؟ أو أسافر بالأموال في رحلة ترفيهية؟ أو أشتري الجوّال الجديد؟).

ونضيف إلى ذلك بأنّ (تسوية التوبة) تؤدي إلى ترسيخ الذنوب في النفس والقلب، بحيث يأمن الإنسان بالمعاصي والذنوب، ويشدد تعلقه بها، ويشدد سواد القلب شيئًا فشيئًا، مما يزيد في صعوبة توبته ورجوعه بعد ذلك.

رابعًا: (والاعتلال على الهلكة):

العلة: هي السبب والحجة والدليل.

فإذا قيل لك (عللّ ما يلي) فالمقصود هو بيان السبب والحجة والدليل.

الإنسان التائب يعتذر إلى الله تعالى، ويعترف بتقصير نفسه، وسوء فعله وعمله.

وأما الإنسان المكابر فهو يحاول أن يحتج على الله، ويبرر لنفسه، ولكن أنسى له ذلك (فَلْيَلْمُوهُ
الْمُجْرِمُونَ الْبَغْيَ)، (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلِيمٌ نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ، وَلَوْ أَلْقَيْنَا
مَعَادِيرَهُ).

فمن يأت الله تعالى معترفًا بذنبه يجد الله غفورًا رحيمًا (وقد أتيتك يا إلهي بعد تقصيري وإسرافي
على نفسي معذرةً نادمًا منكسرًا مستقيلاً مستغفرًا منيبًا مقرًا مذعنًا معترفًا).

ومن يأت الله عز وجل مكابرًا، محاججًا، يجد عدل الله سبحانه (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ
وَأَنْتُمْ بِاللَّهِ لَيْسَ بِظَالِمِينَ).

خامسًا: (والإصرار على الذنب أمنٌ لمكر الله [و] (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا السَّالِبُونَ
الْمُخَاسِرُونَ)).

المؤمن يكون بين الخوف والرجاء. يرجو رحمة ربه سبحانه، ولا ييأس منها، ويخاف ذنوبه وتقصيره، بأن
يحرمه الله تعالى من الرحمة والمغفرة، ويستحق أليم العذاب.

تحدث القرآن الكريم والروايات الشريفة والتاريخ عن العديد من النماذج التي استحققت أليم العذاب
الديني قبل الأخروي إثر إصرارها على الذنب. هذه من السنن الإلهية.

ونحن كذلك، إذا عصينا الله تعالى، وأصررنا واستمررنا، ربما ينزل علينا العذاب والانتقام الإلهي كما
نزل على أولئك.

أما من يصر على الذنب، وهو مستبعد نزول العذاب والانتقام الإلهي عليه، فهو لا يخاف من غضبه الله،
وكأن لديه صك من الله وضمان خاص به.

(وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ نُمْلِكَ لَهُمْ خَيْرًا لِأَنْفُسِهِمْ إِلَّا نَزَمْنَا

نُؤْمَلِي لَهْمُ لِيَزِدَّادُوا إِثْمًا ۖ وَلِلَّهِمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ).

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ).

وما توفيقى إلا با ۖ تعالى

16 - ذو الحجة - 1440 هـ

الشيخ مرتضى الباشا